دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	بعض اتجاهات الشعر الإنجليزي الحديث
المصدر:	مجلة كلية التربية
الناشر:	جامعة عين شمس - كلية التربية
المؤلف الرئيسي:	أبو المجد، نادية عثمان
المجلد/العدد:	مج4, ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1981
الصفحات:	181 - 211
رقم MD:	106212
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	ماكنيس ، لويس ، الأدب الإنجليزي ، الشعر الإنجليزي ، الشعراء الإنجليز، العصر الحديث ، الدواوين والقصائد ، لاركين ، فيليب ، كيركيو ، جيمس ، نقد الشعر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/106212

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

" بعض اتجاهات الشعر الانجليزى الحديث "

بقلم : الدكتوره ناديه عثمان ابو المجد
استاذ مساعد كلية التربية جامعة عين شمس

(أ) نموذج من شعر الثلاثينيات

" يوميات الخريف "

للشاعر لويس ماكنيس

في مطلع القرن العشرين ، ترك ت .ا س . اليوت T.S. Eliot موطنه الاصلى فى نيوانجلاند New England بالولايات المتحدة ونزح الى انجلترا حيث حصل على الجنسية البريطانية ، ثم اشهر انتمائه الى الكنيسة الانجليزية الكاثوليكية . وبعد ذلك جاء مقاله الشهير فى عالم النقد الادبى " التراث والملكة الفردية " الذى كان بمثابة " مانيفستو" للكتاب والنقاد على السواء . ومنذ ذلك الحين ومشكلة الاديب ومدى انتمائه الى التراث ، سواء كان أديبا اوحضاريا ، تشغل الادباء فى انجلترا وامريكا وايرلندا ، بل وراء البحار كذلك . فالعلاقة بين الفرد والتراث هى " الثيمة " الرئيسية فى كتابات هنرى جيمس Henry James وجيمس كوبس James Joyce و اى . ا م . فورستر E. M. Forester هذا فيما يختص بالنثر. اما فى الشعر فبجانب اليوت نجد ازرا باوند Ezra Pound والواقع ان نظريات اليوت فى النقد الادبى تعتمد الى حد كبير على دراسات ازرا باوند التى سبقتها بعدة اعوام . وقد سجل اليوت نفسه فضل ازرا باوند عليه فى كثير من كتاباته ، وأخص بالذكر مقدمته لـ " مقتطفات من شعر ازرا باوند " الذى ظهر فى عام ١٩٢٨ ومقدمته لـ " مقالات النقد الادبى لازرا باوند " الذى ظهر فى عام ١٩٥٤ .

ولكن بينما كان الاهتمام الاول لباند واليوت هو علاقة الاديب بالتراث الادبى واللغوى ، وذلك يرجع اساسا الى

انهم من المجددين فى اساليب الشعر من لفظ وموسيقى وتركيب ، اخذ اتباعهم يتعرضون لمشكلة الفرد وعلاقته بالتراث الحضارى والاجتماعى الذى ينتمى اليه ، واذكر فى هذا المجال علما آخر من اعلام الشعر الانجليزى الحديث هو و.ب . بيتس W. B. Yeats الذى انتهى به الامر الى التنكر للحركة الوطنية الايرلندية والذى بدأ حياته بخدمتها فى مجال الادب والمسرح ، بل وساندها اجتماعيا وسياسيا ، انتهى الامر ببيتس بان تنكر لهذه الحركة واتخذ لنفسه تفكيرا عنصريا متزمتا ، وهو انتماءه الحضارى والعنصرى الى سلالة الانجلو ايريش Anglo - Irish سلالة جوناثان سويفت Johnathan Swift وباركلى Berkley

ثم كانت الحرب العالمية الاولى ، والدمار الذى حل بخيرة شباب انجلترا من ابناء الطبقات المثقفة ممن تحمسوا لخوض غمار المعركة ضد المانيا ظنا منهم انهم يدافعون عن الحرية اذ هلك عدد كبير منهم فى حرب الخنادق الضارية Trench War فى فرنسا ومن اهم شعراء هذه الفترة الزمنية ويلفريد أوين Wilfrid Owen وسيجفريد ساسون Siegfried Sasoon الذى يتميز شعرهما بالالم والتمزق وشعور مرير نحو كل من دعى الى هذه الحرب سواء كان من الدول المتحالفة او المانيا القيصرية ، وتلاها مدرسة اخرى من الشباب الثائر ذهب بعضهم الى حد المشاركة فى الحرب الاهلية فى اسبانيا ، ومن اهم شخصيات هذه الحركة الثانية س.د .لويس C. Day Lewis و و.هـ -أودين W. H. Auden وستيفن سبندر Stephen Spender ولويس ماكنيس Louis MacNiece

ولكن سرعان ما اتخذ لويس ماكنيس لنفسه طريقا مميزا فرضته عليه ظروف مولده ونشأته الفريدة . ولد ماكنيس فى بلفاست Belfast عاصمة ايرلندا الشمالية وكانت فى ذلك الحين مركزا صناعيا وتجاريا مزدهرا . ثم رحل

الى كامبريدج حيث تلقى دراسته الجامعية وحصل على الليسانس بامتياز فى الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية) . وكان الانتقال من بلفاست الصناعية الى كامبريدج الارستقراطية صدمة كبيرة لماكنيس وبعد اتمام دراسته الجامعية اشتغل بتدريس اللغات والآداب الكلاسيكية بالمدارس الثانوية الخاصة Grammar Schools التى كانت تدرس هذه المواد باسهاب حتى ذلك الحين . ولكن يبدو ان هم بلفاست التجارية كان مايزال يجرى فى عروق ماكنيس رغم كل كراهيته لهذه المدينة ، فترك تدريس اللغات الكلاسيكية واشتغل بالصحافة والاذاعة البريطانية وذلك بجانب كتابته للشعر حتى توفى فى عام ١٩٦٤ .

ومن اهم اعمال ماكنيس " يوميات الخريف " Autumn Journal التى ظهرت فى عام١٩٣٨ مع بوادر الحرب العالمية الثانية . ولكى اقرب القصيدة الى ذهن القارىء العربى فهى الى حد ما تشبه فى موضوعها " الارض الخراب " للشاعر ت . س . اليوت ، ولو انها اطول منها بكثير . وكما هو الحال فى " الارض الخراب " فالثيمة الرئيسية للقصيدة هى المقابلة بين الماضى والحاضر ، ولو ان الحاضر فى نظر ماكنيس لا يبدو بالصورة المظلمة التى يبدو بها فى قصيدة اليوت . وبينما يعتمد اليوت الى حد كبير فى تصويره للماضى على التراث الادبى الانجليزى والاوربى عامة ، مما يؤدى الى صعوبة فهم القصيدة بالنسبة للقارىء الذى ليس لديه الالمام الشامل بهذا التراث ، فان ماكنيس فى تصويره للحاضر والماضى على السواء اقرب الى متناول القارىء الغير متخصص ، اذ أنه يعرض لتراث اجتماعى ليس بالبعيد عنا زمنيا البعد الكثير . كما أن اشاراته الى الحاضر اكثر دقة وتحديدا وتفصيلا من اشارات اليوت . ولكن بينما يحيد اليوت الى الموضوعية والتركيز فى التعبير ، فان ماكنيس يلجأ الى الاطناب ويتخذ من مظاهر الحياة التى يعرض لها وسيلة للتعبير عن مشاعر خاصة بل ومعقدة الى حد ما .

تبدأ " يوميات الخريف " برحلة قطار للشاعر يقول فيها :

— نحن فى هامشير فى نهاية الصيف .. الجو خانق ثقيل .
— وعلى المدى أرى منحدرات النجيل المحلوق واشجار السرو
باشكالها المخروطية تعزل عن العالم الخارجى حيـــاة
القادة والقباطنة المتقاعدين .
— منظار مكبر فى الردهة وكتب الصلاة فى اماكنها .
— شهر اغسطس يرحل ومعه زهرة الجريجير بابواقها الجوفاء .
— وعباد الشمس بالوانه الصارخة وكأنها موسيقى جيش الخلاص
— وعانس تجلس على كرسى الحديقة تلتقط غرز التريكو
— ولا ترفع عينيها الى صوت الطائرات التى تتجه "
— شمالا من لى — على — سولنت . أشجار الســـــرو
والصنوبر العملاقه
— وورد على تخشيبة ريفية واشجار التوت
— لحم خنزير وبيض فى طبق فضى على مائدة الاقطار
— باختصار كل مستلزمات الراحة البدنية الموروثة
— وكل دواعى القلق الموروث ايضا من روماتزم و ضرائب
— وهل ستتزوج ستيلا وماذا تفعل بديك
— وفرع العائلة الذى فقد ثروته فى هاترى
— واختفاء جريدة " المورنينج بوست " وكذلك فرصة العمر
— تزايد السوقية . جماعات من المصطافين يخلعون ملابسهم
على البلاج
— جماعة من الشباب اللندنى يطلبون " ركوبة بلاش " وافكارهم
— تتجه لا الى الوطن او الله بل كل فتى الى صديقته
— ولوريات شركة سكك حديد الجنوب تتباطأ
— وتلجأ الى منحنيات الطريق المغطاة بنبات الخشخـــاش
حيث يشملها الليل
— ليل لا يعرف العاطفة الجامحة
— او الايدى المغتصبة او اللسان السليط "

هكذا يبدأ ماكنيس بالمقابلة بين الماضى والحاضـــــــر كما يتراءيان له... ماض يتسم بمظاهر الحضارة والابهة ، وأهم من ذلك رفاهية الحس وارتقاء الذوق . القارىء لماكنيس لا يلمس تعصبا حضاريا او عنصريا للماضى بقدر مايرى نفسا بشريـــة ذات احاسيس مرهفة تتأفف من سوقية الذوق فى العصر الحديـــث . أى ان تفكير ماكنيس فى اساسه تفكير جمالى ثم يليه نظرة اجتماعية ذات ابعاد واسعة . وذلك يرجع الى رغبة قوية فى نفس الشاعـــر للوصول الى ــ بل المشاركة فى الحياة الجماعية المحيطة بـــه ، مما جعله يترك التدريس التخصصى وينخرط فى عالم الصحافـــة والاعـــلام .

ــ ثم يصل القطار بى الى لندن
ــ لندن المكدسة بالبشر . لندن يدفئها الخانق وكأنهـــا امرأة حبلى مثقلة
ــ وكلبتى رمز النظام المنهار ترقد على ارضية عربة القطار
ــ وعينيها الخرقاوان تتألقان ، وكأنها نجمة سينمائية
ــ تريد ان تعيش ، أى تريد المزيد من الهدايـــــــا والمجوهرات والفراء
ــ وكأنما العيش ليس دورانا مع مدار كوكب أزلى او مسطـــح مياه مغلقـــه
ــ بل قفزة فى الظلام .. استطراد .. طلقة طائشة "

وكما هو الحال فى كثير من الشعر الحديث ، لا يتقيـــد ماكنيس بالتسلسل التقليدى لعرض الصور أو الافكار ، اذ يرجع بـــه التفكير الى نقطة اخرى فى رحلته الزمنية سابقة للوصول الى لندن ومنها يسترسل فى تفكير يختلط فيه ماضى بما هو آت .

ــ سوربيتون .. امرأة ذات وجه مطلى
ــ وشعر مصبوغ تدخل عربة القطار
ــ بجوربها النايلون سلم .. عينان متسعتان تحت

- رموش ثقيلة الظلال . عينان لا تعرفان الخجل اوالدهشة
- ايقاع صوت القطار يوحى برتابة عاطفية مقززة
- وانفاس الرغبة الجنسية تتسكع بحذاء المتاجر والمحلات العامه وكأنها اوراق الشجر الساقطة " .

وبعد ذلك يعرض الشاعر لعاطفة الحب فى العالم الحديث ويقدمها لنا فى شكل اغنية تعبر إلى حد ما عن تجربة حب فاشل مر بها الشاعر الذى هجرته زوجته الاولى رغم حبه الكبير لها .

- أحببت رفيقتى بتذكرة سكة حديد . باغنية جاز
- أحببتها طويلا
- أحببتها بين السطور وعكس عقارب الساعة
- أحببتها حتى فرقتنا الحياة . . لا الموت
- أحببتها بأوراق البنكنوت برائحة الويسكى فى فمى
- أحببتها بعينى الطاووس وكل سلع قرطاجة
- بالزجاج والقفازات والذهب و " بود ريبيرة "
- بالسب والاخوة والاقتحام
- وأشياء اخرى كثيرة
- أحببت رفيقتى باجنحة الملائكة منغمسة فى الحناء . . لونها احمر احمرارا لاينتمى الى عالم الاحياء
- أحببتها بساعات عملى وبالزهور وصفارات الانذار
- بميزانيتى وسلسلة مفاتيحى وقوت يومى . . . "

وينتهى الجزء الاول من " يوميات الخريف " بوصول الشاعر الى لندن ودخوله فى متاهات مترو الانفاق وهو يقول :

- والى لندن والى السلالم التى لا تتوقف
- حيث تهب رياح دافئة تجمع بين اجساد البشر
- وتباعد من عقدهم النفسية وهمومهم اليومية " .

في الجزء الثاني من " يوميات الخريف " يعرض الشاعر لمشكلة الاديب ورغبته في العزلة . الكون كما كان يراه ماكنيس نسيج عنكبوت غليظ يضيق الخناق عليه كلما أراد ان يفلت منه والعنكبوت هنا يرمز للكون كزمان ومكان على السواء . فالفرد قد يكون لديه نحرية التصرف الى حد ما فيما يختص بالمكان الذى يريد لنفسه ان يعيش فيه ولكن عنصر الزمن أو الوقت سلاح مشهور على رقاب البشر في كل مكان . ومع ذلك فهو يحاور ويجادل ويتخذ لنفسه شتى العلل والاسباب الفلسفية في سبيل الخلاص من عنصرى الزمان والمكان على السواء .

- هناك ليالى اشعر فيها بالوحده واحلم بالحب
- ولكن الليلة ذات ظلمة قدسية تتعارض مع وجود اى شخص بجانبى اوتحتى . اما فوقى
- فترتفع قبوة سماء سوداء وكأنها جثوة القبر . وداعا لنور الشهب
- وداعا لمصفاة الجسد الافلاطونية
- ووداعا ايضا لفلسفة افلاطون
- لدى خطة افضل للوصول الى الهدف المباشر بدون مراوغة
- اذا كان في استطاعتك ان تعادل مابين القائم في اسمى معانيه ومابين انعدام الروءيا
- فالى بالعدم — رائحة العدم تملأ انفاسى ." نيرفانا"

ولكن الشاعر سرعان مايصحو الى الحقيقة المرة وهى انه جزء من نسيج العنكبوت وطالما هو حى يرزق فقد ماه تسوقانه على سلم النسيج دون توقف . هناك مايدفعه الى السير اماما وهناك مايعوق تقدمه وبالتالى يكون عنصر تحدى وفاعلية . هناك احلامه وآماله العريضه كشاعر مفكر اتخذ لنفسه شتى المذاهب السياسية والاجتماعية .

" احـــلام

- توحى - بينما انا اسير مع خيوط العنكبوت - بـــأن
كفة الغد ترجح
- كفة الليلة . و ان ماسيكون يتعادل مع ماهو كائن
- ان الغد يوما جديدا
- انه يجب على ان اغادر فراشى واواجه جوق الموسيقى
- كما يفعل الاخرون اذ ينفضون عن انفسهم ثياب النـــوم
بابتسامة مصطنعة ويهرعون كل الى مكتبه او حرفته
- حيث يخرج الخوف من الحياة بد خولهم اماكن عملهم
- ويعيد التاريخ نفسه
- ليها العنكبوت . . ليها العنكبوت . . ان سخريتك لجادة
- من انا . . . وانا . . كى آمرك بان تنسانى ؟
- لابد ان أذهب غدا كما يفعل الاخرون واشارك فى بنـــاء
العصر المنهار
- الذى لم ينهار ابدا والفضل فى ذلك يرجع لا الى نظرية ما
- روحية ما - او نظام ما
- لا الى عقيدة ما او بيئة ما
- ولكن الى شجاعة الحيوان البشرى الدائمة دوام الدهر
- ليها العنكبوت ليها العنكبوت انسج مانشاء لك وسجـــل
مانشاء لك . ولكن دعنى انام قليلا
- لا كى انتهى ولكن كى أبـــدأ
- العمل الذى يدلك مرارا وتكرارا " .

والتأمل لهذه الابيات لايسعه ان يتساءل طويلا ماكبس
بالضبط اشكالة الوجود والعدم ؟ هل الانسان فى غلوه مجرد
طاقة حيوانية تسوقها قوى لاواعية على النحو واستمرار السلالـــة
البشرية ثم لن هناك وجود لشىء من الوجود الفادى ؟ الواقـــع
ان ماكبس لايجزم برأى فى هذا الشأن ولكن كل مايبدو كـــان
هو جعل الكون الفادى وجعل الانسان كائنة خالقة تعالج هـــذا
الكون لارادتها وتدأب على استغلال مكوناته ـــ الماديـــة

والروحية على السواء ـ في سبيل اسعاد اكبر عدد من البشر وأراني اكثر دقة في نقل افكار وأحاسيس الشاعر اذا ماقلت أن الانسان في نظره طاقة " بناءه " اكثر منها " خلاقة " . ان ماكنيس لا يعوزه الاسلوب الجدلي او الاقناع الفلسفي فهو مفكر بقدر ماهو اديب و شاعر ، ولكنه يميل الى تصوير الانسان على انه جسد قوى واراده عامله اكثر من تصويره على انه عقل مفكر وربما كان لتأثر ماكنيس بالمذاهب اليسارية الاوربية في مطلع شبابه سبب في ذلك . فالامل الاخير للانسانية في نظره يكمن في " اليد الماهرة " و " همم الرجال " و " قبضة اليد " و " الحركة" هذه هي الالفاظ المحببة الى نفسه . " (*)

وهذه الرؤيا تتضح لنا كثيرا في الجزء الثالث من القصيدة اذ يصحو الشاعر على اصوات جماعات المصطافين وهم يعودون الى اعمالهم بانتهاء اجازة فصل الصيف ويعرض لتفاصيل لا تختلف كثيرا من بيئة لبيئة اذا ما اخذنا في الاعتبار جمهور الطبقة المتوسطة التي ينتمي اليها الكاتب . وبعد ان كان ينحو نحوا اونتولوجيا في الجزء السابق من القصيدة فهو يتخذ لنفسه هذه المرة تفكيرا مذهبيا ويتناول مشكلة العدالة الاجتماعية التي كانت حتى تاريخ كتابة هذه القصيدة حلم لم يتحقق بعد في انجلترا وذلك بسبب سيادة النظام الرأسمالي الذي يشير اليه ماكنيس بالتسمية المشهورة Laissez faire ويجسد مساوئه للقارىء في الكلمات التالية :

- الاغلبية الساحقة من الناس يقبلون الاوضاع كما هي ، ويولدون وينشأون وعلى ظهورهم عدة الفرس
- يتقبلون الاوضاع كما تأتيهم
- ولكن هناك قلائل ممن يرفضون أن يساقوا او ممن يرفضهم الركب
- يصلون من اجل مملكة افضل

(*) ربما كان لفلسفة شوبنهاور كذلك اثر في تكوين ماكنيس الفكري

- مملكة مازالت خطوطها العريضة مرسومة على الهـــــواء او ممسوخة على شعارات مكتوبة بالطباشير او القار علـــى الجدران واللافتات العامة
- مملكة ستجد يوما من الايام جسد لها فى اجساد الناس
- وستجمع قوانينها وانظمتها بين قلوبهم
- مملكة لا تعرف اليد الماهرة فيها وهن او تراخ . ولا يقهر فيها التنافس او استغلال النفوذ هم الرجال
- مملكة لا تعرف الخنوع الى نظام ضال مجنون
- يعطى القلائل حياة خرافية باثمان خرافية
- بينما يعمل تسعة وتسعون فى المائة لم يشاركون فـــى الحفل على ازالة اوساخ الاجيال من على الصحون والسكاكين

ورغم كل رغبته الصادقة فى ان يسود نظام سياسى واقتصـــادى يكفل عدالة اجتماعية للجميع فان الشاعر يتخوف من ان يـــؤدى التغيير الاجتماعى الى " السوقية " التى يتأفف منها فى مطلـــع قصيدته ، بل الى القضاء على المستوى الثقافى العالى الـــذى كانت تتمتع به الاقلية الحاكمة والمثقفة فى ظل نظام اقتصادى يـرى الكاتب انه فى طريقه الى الزوال .

- وسرعان مايوسوس صوت مغرض فى اذنى أنت ايضا لك عقلية تاجر العبيد
- ترغب فى ان تنام على مرتبة من الكسب السهل
- وتفرقع باصابعك أو بسوط مسلول كى يهرع اليك الخـــدم والحوريات بفروض الطاعة والتملق والخنوع
- لتبنى بحطتهم كبريائك وبذلهم ارتقاءك
- انك لا تريد عالم يكفل حرية التحرك للجميع
- ولكن محراب لنفسك فى اعلى البناء مثلك كمثل من يكشـــط القشدة من على سطح كوب اللبن
- واجيب ان ذلك يرجع فى اكثره الى مجرد اعتياد الواقـــع الذى يجعلنى

- أظن ان انتصار فرد مامعناه انهزام فرد آخر
- وان الحرية معناها القدرة على اعطاء الاوامر وانه للمحافظة على القيم التى تهم الخاصة
- لابد وان يبقى الخاصة اقلية

ومع ذلك فالشاعر يؤمن ايمانا صادقا بان سيادة العدالة الاجتماعية لاتتعارض اطلاقا مع المحافظة على التراث وانه رغم كل مخاوفه وتحفظاته فيما يختص بالانتقال من جيل الى جيل ونظام اجتماعى الى نظام آخر فهو متفائل كل التفاؤل بالنسبة للمستقبل .

- هل من الصعب أن تتخيل عالما يحصل فيه الاغلبية على فرص متعادلة بدون ان ينحدر مستوى الحياة الفكرية
- وبدون ان يقضى على كل مايهتم به المتخصصون فى شئون الثقافة ؟ اطلاقا !!
- مثل هذه المخاوف لابد وان تقمع . ليس هناك مايدعو للاعتقاد
- بانه اذا اعطيت الفرصة للجميع كى يفكروا وكى يعيشوا
- فان فنون العيش والفكر ستصاب بسوء او تصبح فظة غليظة .
- بحيث لاتعود علينا باكثر مما اعطيناها ".

ولكن الجزء الثالث من القصيدة ينتهى بان يقرر الشاعر حقيقة مرة يلمسها فى نفسه وهى ان جذور الماضى اقوى فى نفسه من ان يقتلعها الحاضر بوجهه الجديد وان هناك رواسب اجتماعية متوارثة عليه ان يناضل طويلا كى يقضى عليها . عند ذلك فقط يستطيع ان يقرر ان الباط البشرى اقوى وابقى من أى رباط طبقى او حضارى وانه الامل الوحيد فى مستقبل افضل للعالم .

- والآن اعود الى النوم ، ربما الى احلام ذات آثار رجعية
- احلام اقوم فيها بدور القرصان او شيخ القبيلة
- اقتل لمجرد القتل واجعل من العالم اريكة
- أتكئ عليها واسبح فى الاوهام
- اخلع من ملابس النساء واغلظ القول للضعفاء
- كل هذه الاوهام بدون شك ترجع الى تاريخى الخاص ...
- موضوع للتحليل النفسى ...
- ولكن الشفاء الاخير لن يكون على يد عالم نفسانى ماهر
- بل فى مستقبل من العمل ، فى الارادة وقبضة يد اولئك الذين يرفضون متعة الانغماس فى الترحم على الماضى.
- يفضلون على ذلك المخاطرة بالحركة دون التأكد
- من ان هذه الحركة ستعود عليهم بما هو افضل وماهو أسوأ بعد مائة سنة او الف سنة وعندئذ ستصبح قلوبهم صافية طاهرة
- ليس بيننا من فى استطاعته الادعاء بان قلبه طاهر. كلنا لدينا دوافع مزدوجة
- كلنا نغالط انفسنا من حين لآخر ولكن أسوأ
- انواع المغالطة هو ان يهمس المرء " الاهى انا لست اهلا لعطفك " !
- وان يرقد مستسلما ويدير وجهه تجاه الحائط .
- اين لى من الشفاء من هذه العادة السيئة ! والنظر الى اعلى وفى كل اتجاه من حولى
- واين لى من ان تتبع قدماى نظرتى البعيدة
- لتتعثرا بدون شك فى مطلع الطريق ثم تسيرا مع الآخرين
- وفى النهاية بمرور الوقت وبالحظ السعيد ـ ترقصا طربا !"

(ب) نماذج من شعر الخمسينات

في هذا الجزء من مقالي سأتناول الشعر الانجليزي في الخمسينات وبصفة خاصة علمين من اعلام هذه المدرسة هما فيليب لاركين Philip Larkin ودونالد دافي Donald Davie

الحركات الادبية عادة ماتتخذ احد شكلين اما انها تجمع بين عدد من الكتاب متفقون على نقل مذهب فكري معين اورسالة ما الى القارئ ، او انهم متفقون على استحداث نوع من انواع التعبير في الشعر او النثر . وبينما كان بوند واليوت و ييتس يمثلون النوع الثاني من هذين الاتجاهين فان مدرسة الثلاثينات تمثل النوع الاول . واهمية شعراء الخمسينات في انجلترا انهم في نظري — كدراسة متخصصة في الشعر الانجليزي - يمثلون النوع الثاني الذي اشرت اليه اي انهم رأوا ان اساليب الشعر التي ابتدعها رجال مثل بوند واليوت قد استنفدت طاقتها التعبيرية واصبح لزاما على كتاب الشعر اعادة بناء القوالب الشعرية المتوارثة القريب والبعيد منها على السواء . ولكننا كدارسين متخصصين كذلك نعلم جيدا بان القالب والموضوع جزءان غير منفصلان في اي عمل فني جيد وان الموضوع في معظم الاحيان هو الذي يملي على الفنان القالب الذي يتخذه اطارا لموضوعه . ان قصيدة عظيمة " كالارض الخراب " لاليوت انما هي تتخذ الشكل المميز التي هي عليه لانها تتناول حطام حضارة عظيمة هي في سبيلها الى الاندثار او على الاقل هذه هي الرؤيا التي املت على اليوت كتابة هذه القصيدة التي سجلها في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية . وهذه الرؤيا تتضح كثيرا في الكلمات الاخيرة للقصيدة حين يعلن الملك

يعاد مأساته ومأساة بلده " الارض الخراب " قائلا :

- جلست على الشاطئ
اصطاد والوادى المجدب خلفى
- هل اعمل على الاقل على اعادة النظام الى أرضى ؟ "

ثم يعلن معبرا لا عن مأساته فحسب بل عن تجربة اليوت الشعرية حين يقول :

"
- لقد جعلت من هذه الحطام سدا يحمينى من الغرق" .

ورجوعى بالقارئ الى اليوت انما الغرض منه هو ان اقرر بان شعراء الخمسينات والستينات فى انجلترا وان كانوا اساسا من المجددين فى السااليب التعبير الا انهم كأسلافهم الاوائل امثال اليوت وييتس لديهم مواضيع جديدة تستلزم هذه القوالب والاساليب التعبيرية الجديدة ايضا .

وعلى عكسماكان شأن اليوت وييتس من صعوبة فى التعبير فقد جنح شعراء النصف الثانى من هذا القرن - لااقول كلهم - وانما العدد الاكبر منهم الى كتابة شعر فى متناول القارئ العادى لانهم من الطبقة المثقفة العادية فكلهم بدون استثناء يشتغلون بالنقد والتحرير فى المجلات الادبية المتخصصة . وابرز شعراء هذه المدرسة وهو بدون جدال فيليب لاركين اشتغل بالتدريس الثانوى قبل ان يصبح امين مكتبة جامعة هل Hull وجون وين John Wain وجون هولووای John Holloway لايعدون نقاد اكاديميون بقدر ماهم نقاد صحفيين . وفى هذا المجال اذكر انني زرت جامعة اكسفورد ضمن مدرسة صيفية عقدت فى مدينتها الجامعية

فى عام ١٩٥٩ وكنت حين ذاك مازلت طالبة دراسات عليا احضر للدكتوراه فى ترينيتى كوليج Trinity College جامعة دبلن . ومن المحاضرات التى لن تغيب عن ذاكرتى من محاضرات هذه المدرسة الصيفية محاضرة عامة القاها جون وين عن الاتجاهات الحديثة فى الشعر الانجليزى . وبغض النظر عما قاله وين فى هذا المجال فقد لاحظت انا وزملائى الطلاب والطالبات الاغراب بان كاتب كبير كجون وين يشعر بحرج كبير لمجرد تواجده فى جو علمى لا اقول متزمت وانما هو على جانب كبير من المحافظة والتعالى وان مستضيفيه لايقلون عنه خرجا فى دعوتهم اياه كى يحدث الطلبة الزوار فى مثل هذا الموضوع . وتساءل الكثيرون منا لماذا دعى اذن وين للحديث فى هذا الموضوع اذا كان رأيه لايؤخذ مأخذا جديا فى هذا المجال العلمى ؟ وكان الرد بان احترام جامعة اكسفورد لمكانة جون وين فى مجال النقد الادبى المتعلق بالشعر بصفة خاصة تحتم على الجامعة استضافته للحديث فى هذا الموضوع رغم انهم كأكاديميين لايأخذونه مأخذا جديا . فجامعة اسكفورد تهتم بكل ماهو جديد وشائع رغم انها لاتأخذه مأخذا جديا فى مجال التدريس بها . ونفس هذه الروح الديمقراطية هى التى جعلت الجامعة تستضيف مخرجا شابا مثل بيتر هول Peter Hall كى يحدثنا عن المسرح المعاصر وجعلت هذه الشخصيات الجديدة تحتل نفس المنصة التى احتلتها شخصيات لها وزنها العلمى العتيد مثل ف . ل . لفيس F. L. Leavis وسيرهارولد نيكلسون Harold Nicolson ودافيد ديشيز David Daiches

ولكن رغم الطابع الشعبى الذى اتخذته حركة الشعر الانجليزى المعاصر الا ان لها جذور عميقة فى التراث الادبى الانجليزى . فمثل ماتمتد جذور اليوت وييتس الى الحركة التصويرية

فى الشعر Imagist Movement التى بدأها بونـــد وتى . اى . هيوم فان جذور لاركين تمتد الى الشاعر والناقـد الانجليزى المعروف ويليام امبسون William Empson والفرق بين امبسون ولاركين هو ان الشعر بالنسبة لامبسون يكاد لايتعدى نطاق التكتيك او الحرفة فهو شاعر الكلمة البارعة والفكر المتيقظ والتعبير الدقيق المحكم . وليس له مبدأ او مذهـــب فكرى معين يعلن عنه فيما عدا دراسته كناقد ادبى للكلمة ومدى ماتحمل من معانى كأداة من ادوات التعبير الفنى . وهذا مثـال لشعر امبسون يذكرنا كثيرا بحرفية المدرسة الميتافيزيقية الـــتى ظهرت فى انجلترا فى القرن السابع عشر فهو يتحدث " عن سيدة عجوز " قائلا :

- الاكتمال هو كل شىء .. فأحمل لها الاجلال فى كوكبها الذى اخذ يبرد
- لاتتطاول فى التفكير فيها على انها نجم قد أفل
- لاتقذف اليها بصاروخ يحمل دفء الحياه
- الالهة تبرد بدورها ولايبقى الا وجه الشمس المحرقة
- ان ارضنا وهى الـوحيدة التى لاتحمل اسما من اسمـــاء الالهـــة
- لاتوفر نقطة بداية لمثل هذه القفزة (اى قفزة الصاروخ) كى تمدها بالعون
- فاذا انت قفزت الى عالمها قد تحطم قصرا ما وتبدو غريبا بل شاذا فى دنياها
- ان النحل فى كثير من الاحيان يقتل حتى الملكة الدخيلة على الخلية .
- لا !! الى منظارك المكبر واستكشف ارضها من بعيد
- متع ناظريك بطقوس حياتها وماتبقى منها .
- مازالت عروضها قائمة على الرمال التى

- قضت امواجها على زخرفها المتداعي
- مازالت السنحة قصرها الشامخ تنتظر نزلائها المبجلون
- حياة اجتماعية غنية لا يقدر ورثتها على المحافظة عليها
- فطنة وبراعة كانت تسيطر على حياة منزل باكمله بما فـــــى ذلك مائدة البريدج
- حماس درامي حتى فى صرفمن لا يروقونها من الخدم
- ان موكبها لا يتأثر بدوران عجلة الزمن
- انها تقرأ البوصلة وهى على يقين من ان تصل الى قطبها
- واثقة من نفسها الى حد لا يجعل هناك حدود لملكها
- ذلك الملك الذى لا يخضع لسلطان الدهر وانما يخضـــع لسلطانها هى وحدها
- ان النجوم مهما كانت بعيدة عنى فهى تملأ مسائى
- من الغريب انها هى ايضا التى تشاركنى شمس نهـــارى بعيدة المنال
- تحجبها هذه الشمس عنى نهارا وتجعلها فى
- متناول اعيننا فى الظلام فقط . "

والواقع ان ترجمتى لهذه القصيدة لا تحمل الا القليـــل من براعة امبسون اللغوية وتلاعبه بالالفاظ والصور التعبيرية المستقاه من عالم جديد نسبيا له وقت كتابة هذه القصيدة وذلك هو عالـم الفضاء . كذلك لم اوفق فى نقل القافية التى تلعب دورا كبـــيرا فى قصيدة امبسون ولكن عذرى فى ذلك كله ان القصيدة جافة فـى اسلوبها جامدة فى معانيها وهى كالكثير من شعر امبسون تبـدو كأنها تدريب بلاغى اكثر منها تجربة انسانية او حتى فنية .

كل ذلك يتضح حين نعرض لشعر فيليب لاركين الذى حـذا حذو امبسون من حيث الدقة والتركيز فى التعبير ووزن كل كلمة فى ميزان لا يخطىء ، ولكنه اضاف الى عالم امبسون الصلف المتعالى

دف ء الحياة العامة التى مارسها كمدرس وامين مكتبة يتعامل مع الشباب من طبقة المثقفين ويشاركهم آمالهم واحلامهم ومخاوفهم واوهامهم . ومن قصائد لاركين المشهورة فى هذا المجال قصيدة عنوانها " الذهاب الى الكنيسة " يعرض فيها لظاهرة ملحوظة فى انجلترا وهى خلو الكنائس من المصلين ويتساءل ما الذى سيحدث لهذه الابنية الشامخة بعد فترة من الزمن ؟ هل ستصبح آثارا مهملة او ابنية اثرية تحافظ عليها الدولة . ؟ ان هذا ليس هو الغرض الذى بنيت الكنائس اساسا من اجله وهو اذ يعرض لهذه الحقيقة يتألم كثيرا اذ انه يؤمن برسالة الكنيسة لا الدينية وحدها وانما الاجتماعية والانسانية ايضا .

"

— ان هذا المكان يحمل دون ان يسكب
— منذ زمن بعيد — ودون تحول — مالا نفهمه
— الا فى الوحدة — فكرة الزواج ، الميلاد
— الموت وكل مايتعلق بهذه الحقائق من افكار اخرى
— انه لمنزل جاد على ارض جادة
— تتلاقى فى جوه المنقه تلك الالتزامات الدنيوية
— التى نعترف بها بل نجعلها فى حكم القدر
— وهذا وحده لايمكن ان يصبح عهدا مضى
— وذلك لانه سيوجد بيننا دائما اناس يكتشفون فى انفسهم
— رغبة بل جوع الى ان يأخذوا الحياة مأخذا جادا
— ويجذبهم هذا الشعور الى هذه الارض
— التى سمعوا فى يوم من الايام انها المكان اللائق كى يصبح الانسان حكيما
— حتى ولو كان المكان محاطا بمن يرقدون ركاما فى التراب".

والمتعمق فى شعر لاركين يدرك اهمية الصلة بين الموضوع والشكل فى لغة الشعر فلاركين لايقل براعة عن امبسون من حيث

الحيل اللغوية من تنويه ومقابلة ومطابقة ومن تركيز وتجريد ولكن دفء الموضوع الذى يعالجه وحيويته كثيراما تبسط من اسلوبه وتجعله اكثر نجاحا فى نقل التجربة الفنية الى القارىء ، . . . ورجوع لاركين الى اساليب الشعر التقليدية من أوزان وقافية ليس محاولة فنية وحسب كما هو الحال فى شعر امبسون وانما هو جزء من ايمانه بان ضياع الفرد والمجموع على السواء فى انجلترا النصف الثانى من القرن العشرين ليس نتيجة تدهور سياسى واقتصادى فقط وانما نتيجة تخلى ابناء بلده عن كل قيم ومفاهيم التراث الروحى والحضارى الذى قامت عليه حياتهم السياسية والاقتصادية — ان ضياعهم ليس نتيجة حتمية لزوال الامبراطورية البريطانية وانما لزوال تلك المفاهيم التى قامت عليها الامبراطورية البريطانية اساسا وازدهرت كظاهرة سياسية واقتصادية على السواء ، مفاهيم لا يعيها وعيا تاما الا من درس تاريخ انجلترا السياسى والاجتماعى المتقدم وخاصة فى القرن السابع عشر حيث نرى كفاح الفرد والمجموع على السواء فى سبيل تحقيق نظام دستورى يكفل السعادة والرفاهية لاكبر عدد ممكن من افراد الشعب ونرى ايضا كفاح الفرد فى سبيل تحقيق مبدأ حرية العبادة وتخليص الكنيسة الانجليزية من سيطرة الملك والسلطة السياسية عامة . لقد بنت انجلترا نفسها كشعب وامة واعية متحضرة قبل ان تصبح قوة استعمارية غاشمة شأنها فى ذلك شأن كل دولة دالت عليها الايام . وهذه هى الحقيقة التى يعرض لها لاركين كثيرا ويعمل على استرجاعها فى اذهان شباب جيله فهو يحن الى الماضى البعيد قبل القريب ويفتقد الروح قبل افتقاده للجسد . فى قصيدة يمكن ان نترجم عنوانها على انه " الوطن " او " بيت العائلة " الواقع ان التسمية واحدة للاثنين فى الانجليزية وهى كلمة Home المألوفة فى هذه القصيدة يقول لاركين :

- الوطن حزين . . باق كما هجروه
- مجهز لراحة آخر الراحلين
- وكأنه يسعى الى استرجاعهم و لكنهم فجعوه
- يسلبهم اجمل متعة له وهى اسعادهم . فهو يذبل في حنين
- وقلب مغلوب على امره وامر من سرقوه
- وحولوه الى ذلك الشيء الذى بدأ منه . .
- ضربة زهو وتفاخر بما يجب ان يكون
- وما اصبح غير كائن . انك ترى مابدأ به
- لا حياة ولا دفء ولكن صور وادوات مائدة فضية
- نوتة موسيقية على رف البيانو وزهرية . "

فاذا ماقارنا هذه القصيدة بقصيدة " السيدة العجوز " لامبسون وهما تتناولان نفس الموضوع الى حد كبير لايسعنا الا ان نقرر ان الايجاز الى حد الابهام تلك الظاهرة التى تخصص امبسون فى عرضها كشاعر ودراستها كناقد ادبى(١) ليست مستعصية على لاركين وانما الفرق بين الاثنين هو ان شعرامبسون تسيطر عليه نظرة مستعلية جامدة تنفر القارىء العادى فى كثير من الاحيان بينما شعر لاركين يتميز ببساطة وصدق فى التعبير تستهوى حتى من يكره الانجليز كشعب وامة لها تاريخ استعمارى بشع . فمثلا حين يقول لاركين " ذلك الشيء الذى بدأ منه " الوطن او " الهوم " فهو فى الواقع يعنى الارستقراطية البريطانية المغلوبة على امرها فنحن نعلم ان كثيرا من القصور

---

(١) انظر كتابه " سبع انواع من الابهام Seven Types of Ambiguity الذى ظهرت الطبعة الاولى له عام ١٩٣٠ واعيد نشره عدة مرات فى الاربعينات والخمسينات

والمنازل القديمة التى لها تاريخ عريق فى انجلترا قد حولت الى متاحف تديرها الدولة وفى كثير من الاحيان يديرها اصحابها الاصليون الذين انتقلوا منها الى مساكن متواضعة تتفق مع دخلهم المحدود حاليا . كل ذلك يعبر عنه لاركين ضمنا وتلميحا وبتواضع لاينقصه الوقار واكثر من ذلك كله الشعور بالاسى والحنين الى عهد مضى ولن يعود .

ولايسعنى هنا ان اترجم قصيدة اخرى للاركين عنوانها " حفلة اوركسترا الاذاعة البريطانية " .

.

- همس عملاق وسعال فى
- مكان فسيح يكتظ بالناس فى كل يوم احد مكان يعلوه شبح الارغن العبوس
- كل ذلك يسبق ضربة مفاجئة على الطبول
- " الملكة ! " الكل يقف . . . ثم يرتد المكان الى حالته الطبيعية
- ويبدأ نشيج آلات الكمان
- وانا افكر فى وجهك بين كل هذه الوجوه
- جميل نقى يواجه
- امواجا من الالحان الخالدة وهى تتدفق
- احد قفازيك يرقدد وأن يلحظ على الارض بجانب حذائك الجديد المتخلف عن الموضة شيئا ما
- الظلام يخيم بسرعة على المكان . المنظر كله يغيب عن عينى .
- ماعدا اشباح اوراق ذابلة على اشجار نصف عارية خلف
- تموجات الموسيقى المشتعلة ، عاصفة هائلة - من النغم
- تقهر عقلى دون استحياء
- رغم بعدها عن متناول فهمى ، صرختها المفاجئة

— تتركني في حالة من اليأس لا يعوض عنها الا تلمسي
— ليداك الصغيرتان وهما تصفقان في هذا المكان الهائل"

ودف " شعر لاركين وحيويته تصبح اكثر استساغة ، اذا ماعرضنا لعلم آخر من اعلام الشعر الانجليزى المعاصر وهـــو دونالد دافى . دافى هو الوحيد بين شعراء الانجلـــيز المعاصرين الذى يعيش فى جو اكاديمى بجانب جو الصحافـة والنشر . فقد بدأ حياته العلمية مدرسا بجامعة دبلن ثم انتقل الى جامعة كامبريدج وهو الآن استاذا للادب المقارن بجامعـة ساسكس احدى الجامعات الجديدة بانجلترا (*) . وقد اشتهـر دافى بكتبه فى النقد الادبى التى هى الى حد كبير شبيهة بكتب امبسون واهمها :

" نقاوة اللفظ فى الشعر الانجليـــزى "
(١٩٥٢) Purity of Diction in English Verse

" والطاقة الناطقة " Articulate Energy (١٩٥٥)

بدأ دافى متأثرا باسلوب امبسون بالاضافة الى اسلوب شعـراء القرن الثامن عشر بما عرف عنهم من ايجاز وصرامة فى التعبـير ومخاطبة العقل قبل القلب . والواقع ان ترجمة اشعار دافـى المبكرة يكاد يكون امرا مستعصيا ومع ذلك سنحاول . هـذه قصيدة عنوانها " على مدى البصر " والشاعر هنا على ما اعتقـد يحاول التعبير عن تجربة غير عادية شعوره بالحبس رغم انـه طليق بالالتزام رغم انه حر . وهذه المفارقة بين حرية الفنـان

(*) واخ انتقل الى جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيـا بالولايات المتحدة .

والتزامه تتراءى له وهو يقف على قمة منظر طبيعي اجـــــزاءه الرئيسية سماء واسع ازرق اللون وارض خضراء تتخللها بعـــض الاشجار وعلى مدى البصر تلتقى السماء الزرقاء بالبساط الاخضر وكأنهما يطبقان الوثاق على روح الشاعر التى تتطلع الى الانطـــــلاق والحرية . و شعور الاديب بالضيق يجعله يتصور نفسه وكأنـــه حبيس مجموعة من الصناديق ما ان يفتح واحدا منها حتى يجـــد نفسه داخل واحدا آخر . ورغم ان دافى الشاعر يقاسى مـــن هذه المفارقة بين الشعور بالانطلاق والشعور بالحبـــس الا ان دافى المفكر والناقد الفنى يبدو وكأنه يرى قمة الجمال فى التعبير عن هذه المفارقة لا اقول الدرامية او حتى الفنية وانما المفارقـــة الذهنية ودافى كما اشرت من قبل ليس شاعرا دراميا او شاعـــرا غنائى وانما هو شاعر ذهنى وهب حياته للدراسات اللغويـــــة للشعر وللترجمة ومن اللغات التى ابدى دافى اهتماما كبـــيرا بالترجمة لها لغات اوربا الشرقية المعاصرة وخاصة البولنديـــة وذلك على ما اعتقد لاستعصاء هذه اللغة على كثير مـــــن المترجمين غيره .

•

— يا للعلياء التى يحتويها صندوق
— او عش صناديق (كما يصنع
— فصيح الكلام حين يفتح
— بابا وراء باب فى تلقائية تروق)
— دعنى استرجع سماء زرقاء واسعة تحجب
— الرؤيا عن مرتفعات جبال كل يناطح الآخر انها تذكرنى بالقلب حين يحدب .
— كيف ان مشاعره لا تقل وزنا لمجرد انه ساخر .
— تحت ظلال شجرة بلوط او جفن نحيف
— تمتد الآفاق ، تحتويها ظلمة لانهائية
— وتفرض السدود على النور المشع فتجعله يخيف

— ظلام مغلق تتسرب منه الوان الطيف القرمزية " .

ويلاحظ هنا ان دافى مثل لاركين يعود الى القافيـــة واساليب الشعر التقليدية وان كان ذلك لا يبسط من التعبـــير عن روح العصر كما هو الحال فى شعر لاركين . ظهـــرت القصيدة السالفة فى عام ١٩٥٤ . ولكن بعد ذلك التاريخ اخذ شعر دافى يتطور الى اسلوب اكثر سلاسة وحيوية وفى الستينات نجده يتناول مواضيع جديدة لا بالنسبة له وحده بل بالنسبة الى الاغلبية العظمى من الشعراء الانجليز المعاصرين ومن اهم هذه الموضوعات موضوع الحب . فقصيدة الحب التقليدية تكاد تكون منعدمة فى الشعر الانجليزى المعاصر . وهذا ليس المجـــال لبحث تلك الظاهرة وان كنت أرى ان نقل جزء من قصيدة حـــب لدافى فى حد ذاته قد يفسر للقارىء امتناع شعراء انجلـــترا المعاصرين عن تناول هذا الموضوع .

"

— ماذا سيكون مصيرنا ؟ الوقت
— يمر ياحبيبتى .. ونحن مسمرون .. وكأنما يغلفنـــا ظرف مختوم
— لا تؤثر فيه الذكريات . كيف ينتهى
— هذا الحصار لشاطىء لم تجمده الريبة
— لم تسانده التشككات . "

واكرر ان ترجمتى هذه لا تنقل الا جزء ضئيل من مشاعـر الكاتب لذلك أرى على لزاما اعطاء الاصل لمن فى استطاعتـــه قراءته واستخلاص كل مابه من معانى والفاظ جميلة .

What will become of us? Time
passing, beloved, and we in a sealed

Assurance unassailed

By memory. How can it end,

This siege of a shore that no misgivings have steeled,

No doubts defend ?

ويلاحظ هنا ان دافي يعود مرة اخرى الى القافيـــــة والجناس بمختلف انواعه في الانجليزية وان هذا يساعده كثيراعلى التعبير الصريح عن مشاعره وافكاره وان كان دافي قد تفوق علـــى سلفه امبسون في شيء فانه قد نجح الى حد كبير في تحويـــــل القصيدة القصيرة في الشعر الانجليزي المعاصر من تدريـــــب لغوي الى تعبير قوي صادق عن الشعور المركب المعقد الـــذي تتكون منه سيكولوجية الرجل والمرأة المثقفة في عصرنا الحاضر ذلك الشعور الذي يسيطرعليه القلق والتردد والريبة حتى والانسـان يعيش تجربة جميلة مثل تجربة الحب .

(ج) اواخر الخمسينات

لقد استهواني من شعراء الخمسينات كذلك شاعر لم يكتب عنه شيئا يذكر حتى الان . هذا هو جيمس كيركب James Kirkup الذي تعرفت عليه لاول مرة في مجموعة شعرية صغيرة بعنـــــوان " شعراء عصرنا "(*) في هذا الكتاب يقدم كيركب لشعره وكأنـــه شاعر رومانسي متأخر يشد القارىء بموضوعاته الفريدة اكثر مـــن

(*) Poets of Our Time, editor F. E. S. Finn, Butler & Tanner Ltd, London, 1965.

القالب الذى اتخذه لقصته .. يستهويه منظر قرية غارقة فى وادى Cumberland فى شمال انجلترا حيث اقيم سد ضخم وقد أدت مشاهدة صورة فوتوغرافية لهذا السد فى وقت جفاف مطبق حل بالمنطقة المقام بها الى كتابة واحدة من اشهر قصائده واحبها الى نفس القارئ الانجليزى على حد قوله ، وعنوانها " القرية الغارقة " The Submerged Village وهو يقارن بين هذه القرية و " القرية المهجورة " لشاعر القرن الثامن عشر الانجليزى وليام جولد سميث William Goldsmith ويقر بانه انهى كل فقرة من فقرات قصيدته بكوبليه مغلق متأثرا باسلوب جولد سميث . وهنا يقر تأثره بماثيو أنولد Matthew Arnold الذى عرف ايضا بقصيدة رائعة فى هذا القبيل The Forsaken Merman ويضيف انه امضى السنوات العشرين الاولى من عمره فى لقاء مستمر مع بحر الشمال على شواطئ دارم Durham ونورثمبرلاند Northumberland

كذلك يقر انه تأثر بجون جاى John Gay شاعر وكاتب مسرحى من كتاب المدرسة الكلاسيكية عرف بروح الدعابة الراقية .

ويقول انه فى عام ١٩٥٦ حضر معرضا لبعض اللوحات من عمل فنانين يابانيين تمثل شرور الحرب بروعة تفوق كل ما رآه من اعمال فنان " الرعب " ... " الاسبانى جويا Goya وقد اوحت له هذه اللوحات بقصيدة بعنوان " اشباح ، نار وماء " ولم يكن حينذاك يدرى انه سيذهب للعمل والاقامة باليابان لفترة ليست بالقصيرة . ومن نتاج هذه الفترة القصيدة التى اترجم الجزء الاكبر منها فيما يلى :

" لا لهيروشيما "

" غادرت محطة السكة الحديد . . وحزمة امتعتى فى يدى . . بينما كانت الثلوج الذائبة تتدفق من حوالى . . بينما سعت شمس الغروب الى تنسم فطرات النهار الاخير . . نظرت من حولى كالتائه . . لا اذكر اين انا . . قد اكون فى اى مكان . . اى محطة سكة حديد . . اى مدينة ما فى اليابان . . حطام المصانع المتناثرة . . رجلاى تغوصان فى الوحل . . كل شىء من حولى يضج بالضوضاء . . كل شىء يبدو باهتا كلون شمس اصيلة شتوية . . حيطان ينتشر غطاؤها الجيرى . . قمامة فى كل ركن . . اعلان كبير يحمل الكلمات التالية " دهان ذرى لمنع تساقط الشعر " على واجهة محل تجارى متسع براق . . تعلوه ابراج من اضواء النيون . . وفى النافذة آنية يتدفق فيها عصير الليمون والبرتقال وعصير التفاح الاحمر الثانى . . اعلانات براقة عن الاطعمة الشعبية ولحم الاخطبوط . . شرائح ضخمة من التونة . . ام الخلول . . مثلجات . . آيس كريم يسيل لعاب صبية المدارس الذين يدسون مراوح مصنوعة من صور النساء العاريات . . يدسونها بشقاوة بين محتويات النافذة الزجاجية البراقة .

" تركت ذلك كله ورائى . . وتقدمت ابحث عن هدف زيارتى . . هيروشيما . . هيروشيما التى مزقها ضمير الانسانية الضائع . . بين قسوة ماضى . . وشعور بالذنب يحاول ان يوحى الى قوافل السياح بان الطاقة الذرية بدأت تسخر من اجل السلام . . لكن . . هيهات . . ستظل هيروشيما كما هى . . كى يراها العالم بدون نبل مصطنع او جمال زائف . . وانما شعار من العار . . الذى لن يمحيه اى امل فى الغفران . . حتى الغضب قد مات . . لماذا نغطى آثار العار بما ينسينا هذا العار .

" فى نهاية النهار اخذت اتجول كالضائع فى حديقة السلام .. ويالها من حديقة .. مكان يخيم عليه الموت .. بكل بقايا معرض تجارى عالمى .. ومركز لتجارة السياحة الزائفة .. الاشجار القديمة تغطيها الحفة من القش .. حراس الحديقة كلهم من النسوة المسنين فى بدل زرقاء تغطيها مرايل بيضاء .. بقايا تعنى ببقايا من النجيل الميت حول نصب الطفولة التذكارى .

" واخيراً وصلت الى هدفى .. مركز تفجير القنبلة الذرى — متحف يحوى طوب ومواد بناء اذابتها القنبلة الذرية .. صور فوتوغرافية تسجل صورة صارخة لصحراء القنبلة الذرية ... وبقايا اخرى كثيرة تسجل هذه المأساة الدموية .. ملابس محترقة .. ساعات توقفت عن الدق .. قمصان ممزقة .. زراير ملتوية كيموتو ممزق .. قميص نسائى منقط بوابل من المطر الذرى .. يتحدى النقط المطبوعة على قماشه الاصلى .. بنطلونات الصبية الذين زحفوا وهم يدمون حتى الموت .

" فلنتذكر اولئك فقط .. هم وحدهم .. هم النصب التذكارى الذى نحن فى حاجة اليه "

(١)

وقد دخل اسم كيركب " كتاب فابر لشعر القرن العشرين " وذلك فى سنة ١٩٥٣ وتعتبر مؤسسة فابر من اكبر مؤسسات النشر فى انجلترا ولابد لاى شاعر يدخل اسمه مجموعاتها الشعرية أن يصل الى مستوى عال من الانتاج يقره كبار النقاد والدارسين . ويمثل كيركب فى مجموعة فابر الشعرية بقصيدة

---

1. The Faber Book of 20th Century Verse, editors John Heath-Stubbs & David Wright, London, 1953.

بعنوان "A Correct CCompassion" أى "منتهى الشفقة" ثم ضم فيليب لاركين نفس هذه القصيدة الى مجموعة كتاب " اكسفورد لشعر القرن العشرين الانجليزى"(١) وذلك فى عام ١٩٧٣ . وفيما يلى ترجمة للجزء الاكبر لهذه القصيدة ايضا .

" منتهى الشفقة "

الى السيد فيليب اليسون ، بعد مراقبته وهو يجرى عملية توسيع لصمام الشريان التاجى فى المستشفى العام لمدينة ليدز.

- بنظافه . . سيدى توجهت الى صمام الموضوع
- وانت تستخدم ارقى انواع الفطنة : الموازنة بين العقيدة والفن
- برشاقة عصبية فاحصة كشفت عن جذور الحياة
- ووضعت اصبعك على دقات قلبها
- كانت غرفة العمليات المراقة تعج بالاعين والايدى والاعين
- على مناضد تعلوها الاغطية الخضراء طوابير من الآلات يشع منها بريق التعقيم
- الاقنعة على كل وجه وليس هناك ابتسامة واحدة تكشف عن
- قلق محقق . ذلك القلق الذى يلازم الصمت التام
- هنا نتفاهم بالنظرات ، رغم ان الكلمات
- ايضا تستخدم ، وكأنك ، بصيغة الحاضر
- التاريخى المستمر تصف ماتعمل انت ومانراقب نحن
- كل ايماءه تتضاءل فى حجمها الى الهدف منها — آلة من الآلات المرصوصة على المائدة .
- وهى التى لاتعرف انها مريضة ترقد
- فى خيمة خضراء وتنام فى صمت تام

---

1. The Oxford Book of 20th Century English Verse.

- تحت اشعة اللمبات الكهربائية وعاكسات الضوء التي صممت
- كي تصل الى اعمق الجروح
- كالخطاط الماهر وهو يرتجل اخذت تخترع
- القصيدة الاولى للمشرط بدون تردد الشاعر
- الذي يشوه تدبره بياض الورقة الناصع وهو يعمل على نقل تجربتك الى قارئه
- ان ضربتك السلسه تنساب كالالهام المسترسل
- طوق من الزهور يتفتح على الجسد المرسوم
- بدقة وسرعة فائقة تتضارب المقصات الشريانية
- خيوط صفراء تعقد ، بتلويحة يد بسيطة .
- الدم المنقول يحتفظ بلونه الاحمر الوردي رغم غثيانه
- ساعات الكترونية تسجل سرعة تدفق الدم وضربات القلب بل وتتحكم في سرعة التنفس .
- حركة راهب أو قس : المشرط يكشف عن ضلع باهت البياض بمشرط ذو مخالب
- ترفع العظمة بهدوء وتنقل من مكانها
- وتحتها ترتفع وتنخفض الرئة الزهرية اللون ذات النقاط السوداء وكأنها ثائرة على مايحدث
- ينكشف القلب وهو يدق بصمت . ليس في استطاعته ان يختبيء بعد كل هذا
- ومع كل ذلك فهو لم يكشف عن اسراره بعد " بنج موضوعي في عصب القلب "
- والآن بايدي ثابتة تهتز بقوة وعناية فائقة
- يتحسس مشرطك طريقه داخل غطاء القلب الشفاف
- اولا داخل " الباريكارديوم " وقد فج الى منتصفه
- القلب ذو الاوردة السوداء ينتفخ كثمرة تكاد تنفجر وهي ناضجه

مراجع البحث :

1. Louis MacNiece, Collected Poems, 1925 - 1948, Faber and Faber, 1949.
2. William Empson, Collected Poems, Chatto and Windus, 1955.
3. Philip Larkin, The North Ship, Faber and Faber, 1945.
   ---------- , The Less Deceived, The Marvell Press, 1955.
   ---------- , The Whitsun Weddings, Faber and Faber, 1964.
4. Donald Davie, Collected Poems, 1950 - 1970, Routledge and Kegan Paul, 1970.
5. The Faber Book of 20th Century Verse, edited by John Heath - Stubbs and David Wright, 1953.
6. Poets of Our Time, editor F.E. S. Finn, Butler and Tanner Ltd., London, 1965.
7. The Oxford Book of Twentieth Century English Verse, Chosen by Philip Larkin, 1973.

— ولكنه يستمر في الخفقان . الر الازلي للحب ينـــزف
تحت تأثير سهم من نوع آخر ،
— سهم اقوى واكثر ايلاما من سهم شاعر او محب
— وكأنه طائر يحلم بالانطلاق وهو في ثبات ونوم عميق
— داخـــل قفصه الوثير — " انه عادة
— عند اعطاء الحقنة الاولى يضطرب القلب قليلا ولكن ماعليك
من ذلك .. لا داعي للقلق "

وهكذا يستمر الشاعر في وصف دقيق للعملية الجراحيـــة وتدوين تعليمات كل من الجراح وطبيب المخدر وتعليق كـــل منهما ، بالاضافة الى حركات المساعدين من جراحين وممرضات. اما مشاعره هو كمتفرج ومدون للتجربة فقد انخفض بها الى حـــد يكاد يجعل منه طالب طب يدخل غرفة العمليات للمرة الاولـــى وليس شاعرا يتناول تجربـــة علميـــة في قالب فـــني كالقصيـــدة الشعريـــة .